# الرُّؤْيةُ القرآنيةُ الى مَعَالِمِ المجتمَعِ الإسلاميِّ

د. خالد صدام الزبيدي
كلية التربية– جامعة ميسان

## فحوى البحث

بني البحث على اساس من الانطلاق من النصوص القرآنية الشريفة التي حددت معالم المجتمع الاسلامي معوّلاً على القراءة المتأملة الكاشفة. وقد احتوى البحث عدة عنوانات خص كل عنوان منها موضوعاً يبرز صفة من صفات المجتمع الاسلامي من خلال القوانين الإلهية التي سنّها للمسلمين والتي تنظم حياتهم تنظيما لا يحتاج معها الى قاض يحكم بينهم اذا اخذ بها كل فرد.

بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد لإرساء مجتمع إسلامي

سورة الأحزاب سورة جليلة ضخمة تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة ومن حقائق الوجود والإنسانية حقائق تفتح للقلب والعقل آفاقا عالية وآمادا ً بعيدة وتثير في الذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم وقواعد التربية والتهذيب ومبادئ التشريع والتوجيه الشيء الكثير وأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة وصفات مميزة لمجتمع كريم نظيف سليم متضمنة القواعد والمبادئ والتشريعات والتوجيهات التي يقوم عليها هذا المجتمع.

مجتمع ينتسب إلى الله ويصدر عن الله ويتجه إلى الله ويليق أن ينتسب إلى الله مجتمع نقي القلب نظيف المشاعر، وقبل ذلك عف السريرة مجتمع له آدابه وتعاليمه مع الله في أطار التقوى والعبادة والتسليم لله يتجلى بالادب، مع الرسول الأعظمﷺ ومع بيته وأدب مع الناس وأخلاق خاصة بهذا المجتمع الطهور العالي الأخلاق والآداب، مجتمع إسلامي راق رفيع المستوى حتى في هواجس ضميره وفي حركات جوارحه وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة وله نظمه التي تكفل صيانته ومن ثم لا يوكل الإسلام أقامة هذا المجتمع وصيانته إلى مجرد آداب الضمير ونظافة الشعور ولا يوكل ذلك لمجرد التشريع والتنظيم بل يوفق بين سلطة الضمير والوجدان مع سلطة التنفيذ فالفرد والدولة يشتركان في بناء هذا المجتمع الإسلامي الذي ترسمه معالمه سورة الأحزاب.

فالقيم الاجتماعية التي جاء بها القرآن استطاعت أن تبني مجتمعا إسلاميا طهوراً.

كان العرب يعيشون في الجاهلية قبائل متنابذة لا يعرفون فكرة الأمة أنما يعرفون فكرة القبيلة وما يربط بين أبنائها من نسب وكل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصبا ً شديدا ً فإذا جنى أحدهم جناية شركته في مسؤوليتها وإذا قُتل أحد ابنائها هبّت للأخذ بثأره هبه واحدة فلما جاء الإسلام أخذ يضعف من شأن القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة الواحدة يقول جلَّ

ذكره ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[سورة الأنبياء: ٩٢]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، وهي أمة يعلو فيها السلطان الإلهي على السلطان القبلي وعلى كل شيء ومن ثم أصبحت الرابطة الدينية لا الرابطة القبلية هي التي توحد بين الناس وكان أول ما وصفه الإسلام لإحكام هذه الرابطة أن نقل حق الأخذ بالثأر من القبيلة إلى الدولة وبذلك لم يعد الثأر كما كان الشأن في الجاهلية يجرَّ ثأراً في سلسلة لا تنتهي من الحروب والمعارك الدموية بل أصبح عقابا بالمثل وأصبح واجبا على القبيلة أن تقدم القاتل لأولي الأمر حتى يلقى جزاءه وقد مضى الإسلام يحاول القضاء على العصبية القبلية كما قضى على قانونهم القديم الثأر للدم يقول عز شأنه ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[سورة الحجرات: ١٣]، ويقول الرسول في خطبة حجة الوداع: ((أيها الناسُ إن ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ كلكم لآدمَ وآدمُ مِنْ ترابٍ أكرمُكُم عندَ الله أتقاكم إن اللهَ عليمٌ خبيرٌ وليسَ لِعَربيّ على عَجَميّ فضلٌ إلا بالتقوى))[1]، وأخذ القرآن يرسي القواعد الاجتماعية لهذا المجتمع المثالي الذي يتعاون أفراده على الخير أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر يجمعهم البر والتعاطف حتى كأنهم أسرة واحدة محيت بين أفرادها كل الفوارق القبلية والجنسية وأيضا فوارق الشرف والسيادة الجاهلية وهذا ما نراه واضحا في قصة زواج زيد بن حارثة للسيدة زينب القرشية فالناس سواء في جميع الحقوق والواجبات وهم أخوة يشعر كل واحد منهم بمشاعر أخيه باذلا له ولمصلحة هذه الأمة كل ما يستطيع فهو لا يعيش لنفسه وحدها وإنما يعيش أيضا للجماعة يفديها بروحه وبماله وبكل ما أوتي من قوه ومن ثم وضع نظام الزكاة التي هي ركن أساس في الدين الإسلامي فواجب كل شخص أن يقدم من ماله سنوياً فرضاً مكتوباً عليه للفقراء والصالح العام.

وبذلك أصبح للفقراء والمساكين

(١) البيان والتبيين، ج٢، ص٣٣، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

حق معلوم في مال الأغنياء وهناك مبدأ الإنفاق والإحسان في سبيل الله وهو غير الزكاة يقول عز وجل ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٥]، وبهذا حاول القرآن الكريم أن يقيم ضربا ً من العدالة الاجتماعية في محيط هذه الأمة الجديدة إذ جعل رد الغني بعض ماله على الفقير وعلى الصالح العام للأمة حقا ً دينيا ً أنه لا يعيش لنفسه وحدها بل ليعيش لأمته ويترابط معها ترابطا ً اقتصاديا ً كما يترابط في وجدانه وأيمانه وقد أندفع كثير من الصحابة ينفقون أموالهم جميعا في سبيل الله.

وفي الاسلامي المجتمع الجديد نظمت جميع العلاقات والروابط وكما نراه في سورة الأحزاب كالميراث والمعاملات والكيل والميزان وبناء الآسرة السليمة والحجاب وآداب الدعوة ودخول البيوت ولا يكاد يكون هناك جانب من جوانب الحياة الاجتماعية إلا وضع فيه الإسلام من السنن والقوانين ما يكفل للناس حياة مستقيمة قوامها العدالة[٢]، وفي المجتمع الإسلامي الجديد قوانين وتشريعات رعت المرأة رعاية فائقة إذا كانت مهضومة الحقوق في الجاهلية فردّ إليها حقوقها وجعلها كفوا للرجل لها ما لهُ من الحقوق يقول تبارك وتعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِى عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[سورة البقرة: ٢٢٨]، وأيضا لهن مثل ما للرجال من السعي في الأرض والعمل والتجارة ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ ﴾ [سورة النساء: ٣٢]، وكان كثير من غلاظ القلوب يئدون بناتهم خشية العار فحرّم ذلك القرآن ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[سورة النحل: ٥٨ -٥٩].

وحرم البغاء وشدد في النكير عليه حتى القتل ونظم الزواج وجعله فريضة محببه إلى الله ونعمة من نعمه ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا

(٢) العصر الأسلامي، ص٢١، شوقي ضيف، القاهرة ٦٣.

لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢١]، ودعا في غير آية إلى معادلة الزوجات بالمعروف وأباح الاسلام الطلاق ولكنه جعله أبغض الحلال إلى الله ويقول جلَّ شأنه ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ١٩]، وبكل ذلك كفل الإسلام للمرأة حقوقها وأوجب على الرجل أن يرعاها وأن يقوم بها خير قيام وبهذا تنشأ الأسرة الإسلامية ويكون المجتمع مثالياً صالحاً يعمل الصالحات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله الواحد الأحد فالمجتمع الإسلامي مجتمع قيم عليا قيم إنسانية نابعة من القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية المقدسة فهذه القيم وهذه القواعد وتلك الأحكام تصدر عن منهج واعٍ للتقدم وشريعة سامية للتحرر قادت إلى تغيير شامل في الروابط الاجتماعية وإلى تبديل كامل في علاقات الناس بعضهم ببعض وبالكون فلما استقرت الروابط على وصفها الجديد وانتهت إلى الحال المطلوب بدأ المجتمع يتجه إلى الفقه وبذلك أستمر الفقه يوحد نظاماً كاملاً من القواعد والأحكام تساير الأوضاع الجديدة التي لم تكن قائمة عند ما نزل القرآن[٣].

ويمكن تلخيص هذا المبحث بما يلي (المجتمع الذي يريده الإسلام هو المجتمع القائم على وفق مناهج الإسلام وعقائده وتعاليمه ومبادئه في أساسه وروابط أفراده والمفاهيم الشائعة فيه وأبرز خصائص هذا المجتمع أنه مجتمع يقوم على أساس العقيدة الإسلامية وميزان التفاضل بين أفراده التفاضل بالتقوى والعمل الصالح ولا محل للعصبية الضيقة فيه ويتعاون الجميع فيما بينهم على أساس ما ينفعهم ويشعر كل واحد بمسؤوليته نحو صلاحه ومن أكبر ميزات هذا المجتمع هو الإعداد الخلقي والإنساني)[٤].

وقبل أن ننهي البحث في المجتمع الإسلامي لا بأس من الإلمام بصفات

(٣) أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: دار اقرأ -بيروت ص١٧٧.

(٤) التربية الأسلامية الدكتور رشدي عليان، ص٥٠.

ومميزات المجتمع الإسلامي، الذي أراده الله تعالى وكما نستوحيه في سورة الأحزاب وسورة الحجرات، هاتان السورتان الكريمتان تكفلتا رسم معالم هذا المجتمع المثالي العظيم فهو أولاً مجتمع متواد متحاب مترابط متضامن متكافل متناسق هذا المجتمع الذي حققه القرآن مرة واحدة في أرقى وأصفى صورة، ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب تختلف درجة صفاته ولكنه يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغه غير الإسلام في الماضي والحاضر.

فهو مجتمع تربطه عقيدة التوحيد وآصرة العقيدة الإسلامية حيث تذوب فيه الأجناس والألوان والطبقات والأحساب والأنساب فهو مجتمع عقيدي موحد متساو متناسق متوازن هذا المجتمع الذي يؤمن بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، والذي يرى صورته في قول النبي الكريم [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى][٥].

(٥) رواه الأمام أحمد ومسلم.

هذا المجتمع الذي من آدابه ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [سورة النساء: ٨٦]، ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[سورة لقمان: ١٨]، ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[سورة فصلت: ٣٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الحجرات: ١١]، ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة الحجرات: ١٢]، هذا المجتمع الرائع الذي من ضماناته، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[سورة الحجرات: ٦]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾[سورة الحجرات: ١٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا

غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النور: ٢٧]، [كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه][٦]، هذا المجتمع النظيف العفيف الشريف الذي لا تظهر فيه الفاحشة ولا تروج الفتنة ولا تنتشر التبرج والسفور ولا تتلفت الأعين الى العورات ولا ترف فيه الشهوات ولا ينطلق فيه الجنس في عرامة اللحم والدم كما في المجتمعات المعاصرة ، مجتمع تحكمه سورة الأحزاب وسورة النور تلك التوجهات الربانية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[سورة النور: ١٩]، ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور: ٢]، ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [سورة النور: ٣٠ -٣١] مجتمع الطهارة والنظافة مجتمع الخلق الرفيع والمبادئ الحسنة مجتمع الجهاد والمبادئ مجتمع التضحيات والكبرياء مجتمع الحق والعدل ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣ -٢٤].

وهناك آية في سورة الأحزاب ترسم المعالم الكبرى لهذا المجتمع الرفيع الطاهر والذي يخاطب فيه نساء النبي أطهر نساء الأرض في أطهر بيت في أطهر بيئة في أطهر زمان ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ

(٦) أخرجه مالك والشيخان.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الاحزاب: ٣٢ -٣٣]، هذا المجتمع يأمن به الزوج على زوجته وتأمن الزوجة على زوجها ويأمن الجميع على أعراضهم وحرماتهم حيث لا تقع العين على المفاتن ولا تقاد الأنفس إلى المحارم، في المجتمع غير المسلم تكون الخيانة المتبادلة والرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب، أما مجتمعنا فهو مجتمع آمن ساكن عفيف نظيف ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان.

مجتمعنا الإسلامي يكفل لكل قادر عملاً ورزقاً فلا مكان للضعفاء والمتسولين في المجتمع الإسلامي، لكل عاجز ضمانة من العيش الرغيد، لكل قادر عمل يقاس به، لكل راغب في العفة زوجة صالحة وبيت آمن مريح، مجتمع يسأل مسؤولية جنائية لو مات فيه جائع، ، حتى يرى بعض الفقهاء أن هؤلاء مسؤولون عن دفع الدية لكل فرد حريته مكفولة وحقه في الحياة والعمل والسكن والسفر، كل فرد مضمون الحياة لا يعتدي عليه أحد مهما كان فلا يؤخذ بالظنة ولا يتسور أحد بيته ولا يتجسس عليه أحد، مجتمع لا يذهب به دم أحد هدراً ولا يضيع فيه حق لأحد بل هو مجتمع الله مجتمع التوحيد والأيمان والعدل والحق.

## المجتمع الاسلامي ورواسب الجاهلية:

كانت مهمة القرآن الأساسية هي أخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الجاهلية إلى نور الإسلام فسورة الأحزاب تبدأ بتوجيه الرسول ﷺ وتقوى الله وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين وأتباع ما يوحى إليه من ربه والتوكل عليه وحده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ١ -٣].

الإسلام ليس مجموعة إرشادات ومواعظ ولا مجموعة آداب وأخلاق ولا مجموعة شرائع وقوانين ولا مجموعة أوضاع وتقاليد وحسب، بل أنه يشتمل هذا كله أن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة ومن هنا جاء التوجيه الرباني في

بداية السورة إلى الأصول التالية.

١. تقوى الله الذي يعد مفتاح كل خير وأصل الدين لأنه يعني مخافة الله وخشيته ومعرفته وتقوى الله والشعور برقابته واستشعار جلاله هو القاعدة الأولى وهو الحارس القائم في أعماق الضمير على التشريع والتنفيذ وهي التي يناط بها كل تكليف في الإسلام وكل توجيه(٧).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣]، فالتقوى هو نقطة البدء في المسيرة الإسلامية الشاقة فالمسلم إذا لم يعبأ بالتقوى وخوف الله ورقابته لا يستطيع أن يصنع شيئاً فالتقوى هو اللجوء إلى ساحة رب العالمين والالتجاء إلى حماه لأنه هو الحارس والحافظ للمؤمنين، قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة يوسف: ٦٤].

٢. أما التوجيه الثاني في الآية الكريمة هو النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين وأتباع توجيههم أو اقتراحهم والاستماع إلى رأيهم أو تحريضهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ولا بأس هنا أن نستفيد من سبب النزول لنطلع على مفهوم الآية بشكل أدق وأعمق ((نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد بأمان من رسول الله ﷺ ليكلموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمه بن أبيرق فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد اذكر ألهتنا اللات والعزى ومناة وقل أن لها شفاعه لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أئذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال أني أعطيتهم الأمان وأمر رسول الله ﷺ فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من أهل مكة أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة والمنافقين عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة

(٧) في ظلال القرآن، ج٦، ص٥٣١.

بن أبيرق[٨].

ويبقى هذا النهي مبدأ إسلاميا ً وقانوناً ألهيا لا يمكن نقضه أو مخالفته فلا يجوز قطعاً أتباع المنافقين والكافرين وأهل الكتاب بل لا تجوز إلا أطاعة الله ورسوله ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ [سورة النساء: ٦٩]، وقد أزال رب العزة في أول جمله يستفتح بها كلامه مخاوف النبيﷺ وقوله هذا يعني أني أعلم منك بما فيه مصلحه ديني وما ليس كذلك وأعلم بما ينبغي عمله ومتى ينبغي وأي شيء فيه خلاف للمصلحة لذا فلا تفعل ما فيه مرضاة الكافرين والمنافقين بل أفعل ما فيه رضاي فأني أحق منهم أن تخشاني[٩].

وقال الزمخشري: (أتق الله: واظب على ما أنت عليه من التقوى وأثبت عليه وأزدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشوره وجانبهم وأحترس منهم فأنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضادة والمضارة)[١٠].

٣. أما التوجيه الثالث في الآية الكريمة ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ فهذه هي الجهة التي تجيء منها التوجيهات وهذا هو المصدر الحقيقي بالإتباع والنص يتضمن لمسات موصيه تكمن في صياغة التعبير وأتبع ما يوحى إليك من ربك وهو الوجوب ولا يجوز أخذ الأحكام من غير الله تعالى.

ثم يأتي التوجيه الأخير ((توكل على الله)) وهو الأصل في الإسلام فالتوكل على الله هو قمة الأيمان وروح الإسلام ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾، (فلا يهمك أكانوا معك أم كانوا عليك ولا تحفل كيدهم ومكرهم وألق بأمرك كله إلى الله يصرفه بعلمه وحكمته وخيرته ورد الأمر إلى الله في النهاية والتوكل عليه وحده هو القاعدة الثابتة المطمئنة التي يضيء إليها القلب فيعرف عندها حدوده وينتهي إليها

(٨) مجمع البيان ج١ ص٩٤. وأنظر الكشاف للزمخشري ج٣ص٣٢.

(٩) تفسير سورة الأحزاب، المودودي، ص٣١.

(١٠) الكشاف ج٣، ص٢٤٩.

ويدع ما وراءها لصاحب الأمر والتدبير في ثقة وفي طمأنينة وفي يقن)[11].

ثم بدأ القرآن بتطهير المجتمع الإسلامي من العادات والتقاليد الجاهلية وهي كالآتي:

١. بدأ الله تعالى بنفي التمزق والتفرق في حياة الإنسان فالإنسان له قلب واحد ومنهج واحد فالقلب الواحد لا يعبد الهين ولا يخدم سيدين ولا ينهج نهجين ولا يتجه اتجاهين فقوله تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤]. وهنا لا بأس أن ننقل سبب النزول لهذه الآية، (قيل أنها نزلت في أبي معمر حين كان أبو معمر رجلاً من أحفظ العرب وأرآهم فقيل له ذو القلبين وكان يقول أن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم أبو معمر وتلقاه أبو سفيان بن حرب وهو آخذ بيديه أحدى نعليه والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما هال الناس قال إنهزموا قال في بالك أحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلين فعرفوا يومئذ أنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده)[12].

ويفسر الزمخشري الآية بقوله (ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه)[13].

٢. ثنى تعالى بالنهي عادة الظهار

الظهار اصطلاح خاص عند العرب فكان الرجل منهم في قديم الزمان إذا أختلف مع امرأته أو غضب عليها قال لها أنت علي كظهر أمي وكان أحدهم إذا تلفظ بهذه العبارة صارت زوجته حراما عليه لأنه شبهها بأمه فالله يقول عن هذا (أنكم وإذا دعوتم أزواجكم أمهاتكم أو شبهتموهن بهن فلن يصبحن أمهاتكم حقا أنما أمهاتكم اللاتي ولدتكم فقول ألسنتكم لهن أنهن أمهاتكم لا يغير من

(١١) في ظلال القرآن، ج٦، ص ٥٣٢.

(١٢) أنظر الزمخشري ج٣، ص٢٤٩، ومجمع البيان ج٢٩، ص٩٢.

(١٣) الزمخشري ج٣، ص٢٤٩.

حقيقتهن شيئا فيصبحن أمهاتكم بمحض قولكم)[١٤].

ورفع عاده الظهار هو انتصار للمرأة ورفع الحيف عنها فأخذ الإسلام ينظم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة ووضع لها الحلول الناجعة بحيث أعطى للمرأة حقوقاً لم نجدها في أي نظام في الدنيا قديما وحديثا.

٣. ثم جاء حكم التبني في الإسلام وكيف قضى الإسلام على هذه العادة الجاهلية، دعوة الأبناء إلى غير آبائهم تنشيء تخلخلاً في بناء الأسرة وفي بناء المجتمع ولذا شن الإسلام عليها حربا فقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ فأول أصلاح تم لتنفيذ هذا الأمر أن الناس أخذوا ينسبون زيداً أبن الرسول ﷺ بالتبني إلى أبيه الحقيقي ويدعونه زيد بن حارثة بدلاً من زيد بن محمد لأن الله تعالى قال ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤ -٥].

وقد ذكر البخاري ومسلم والترمذي والنسائي رواية أبن عمر رضي الله عنه (أن زيد بن حارثه ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى أنزل القرآن أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله)، فلما نزلت هذه الآية دعوناه زيد بن حارثه وفوق هذا حرم بعد نزول هذه الآية أن ينسب أي إنسان نفسه لأحد غير أبيه الحقيقي وروى البخاري ومسلم وأبو داود حديث سعد بن أبي وقاص أن الرسول ﷺ قال ((من أدعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام))، وقد وردت في هذا أحاديث أخرى اعتبرت هذا العقل ذنباً عظيماً ثم قرر أبطال نظام المؤاخاة وأرجعها إلى الرحم والقرابة في الأرث وغيره. وبهذه التربية القرآنية أستطاع الإسلام أن يقضى على كثير من عادات الجاهلية ورواسبها

(١٤) تفسير سورة الأحزاب ص٣٢.

كالظهار والعادات الأخرى التي طهر الإسلام المجتمع منها.

وهذا التشديد (ينسجم مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة وروابطها من كل شبهه ومن كل دخل وحياطتها بكل أسباب السلامة والاستقامة والقوة ليقيم عليها بناء المجتمع المتماسك النظيف العفيف)[١٥].

## مكانة النبي ﷺ عند المؤمنين وشأن أزواجه

قال تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[سورة الأحزاب: ٦]، تعني هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب أن الصلة بين النبي ﷺ وبين المسلمين من نوع يفوق ويعلو سائر العلاقات الإنسانية فليس في الوجود علاقة تناسب ذرة من العلاقة التي بين رسول الله ﷺ وبين المؤمنين فهو عليه السلام أكثر رحمة وأوفر شفقة على المسلمين من آبائهم وأمهاتهم وأكثر حبا كخيرهم من أنفسهم فقد يضرهم أولادهم وأزواجهم أو آباؤهم وأمهاتهم وقد يفضلون أنفسهم ومصالحهم عليهم وقد يضلونهم ويدفعونهم إلى ارتكاب الأخطاء وقد يزجون بهم في جهنم أما الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يأتي في حقهم إلا بما فيه فلاحهم الحقيقي وهم قد يضرون أنفسهم ويخربون حياتهم بأيديهم أما النبي ﷺ فينصحهم ويشير عليهم بما فيه نفعهم فأن كان الأمر كذلك فأن للنبي ﷺ حقاً للمسلمين أن يحبوه أكثر من والديهم وذريتهم وأنفسهم ويعلوه فوق كل شيء في الدنيا ويؤثروا ورأيه على رأيهم ويفضلوا أحكامه وقراراته على أحكامهم وقراراتهم ويصغوا لكل حكم من أحكامه وقد عبر الرسول عن هذا المعنى في حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما مع اختلاف طفيف في ألفاظ رواياته فقال ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أجب إليه من والده وولده والناس أجمعين))[١٦].

ومحبة الرسول ﷺ هي أساس الدين ولا يستقيم دين أحد ألا بمحبة رسول الله ﷺ ولو ترجع إلى التاريخ الإسلامي

(١٥) في ظلال القرآن، ج٦، ص٥٣٧.

(١٦) تفسير سورة الأحزاب، ابو الأعلى الموردي، ص٣٩.

نرى كيفية استقبال المدينة لرسول الله ﷺ التي تعبر لنا عن مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالا لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول الرسول إليهم حتى إذا هب النهار ليدبر عادوا أدراجهم ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم الثاني فلما طلع الرسول عليهم جاشت العواطف في صدورهم وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمقدمه عليه السلام، ولقد بادلهم رسول الله ﷺ نفس المحبة.

يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله ﷺ ليست في مجرد الإتباع له بل المحبة له هي أساس الإتباع وباعثه فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وجد وازع يحمل على الإتباع في العمل.

وقد جعل الرسول ﷺ مقياس الأيمان بالله امتلاء القلب بمحبتهِ عليه الصلاة والسلام بحيث تغدو متغلبة على محبة الوالد والولد والناس أجمعين، وهذا يدل على أن مكانة النبي عند المسلمين تعلو كل مكانه وحبه يفوق كل حب، وهناك صورة رائعة تحكي لنا مدى محبة النبي ﷺ والتبرك به. عندما أقام الرسول ﷺ عند أبي أيوب الأنصاري في منزله، كان أبي أيوب وزوجته يتأمل بآثار أصابع رسول الله ﷺ في قصعة الطعام حينما كان يرد عليهما فضل طعامه إذا فالتبرك بآثار الرسول ﷺ آمر مشروع أقره رسول الله ﷺ.

ومن ذلك ما رواه البخاري في كتاب اللباس في باب ما يذكر في الشيب من أن أم سلمة زوج النبي ﷺ كانت تحتفظ بشعرات من شعر النبي ﷺ في جلجل لها ما يشبه القارورة، فكان إذا أصاب أحدا من الصحابة عين أو أذى أرسل لها إناء فيه ماء فجعلت الشعرات في الماء ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك به[١٧].

ومن تعلق المسلمين بينهم ﷺ ما رواه مسلم في كتاب الفضائل... أنه عليه الصلاة والسلام كان يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست هي

(١٧) فقه السيره/ ص١٩٦. دار الفكر، محمد سعيد البوطي.

في البيت فجاء ذات يوم فنام على فراشها فجاءت هي في البيت وقد عرق رسول الله وأستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عقيرتها فجعلت تنشق ذلك العرق فتعصره في قواريرها فأفاق النبي فقال ما تصنعين يا أم سليم قالت يا رسول الله نرجو بركتهُ لصبياننا قال أصبت[18].

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من إستباق الصحابة إلى فضل وضوئه عليه الصلاة والسلام والتبرك بالكثير من آثاره كالبسته والقدح الذي كان يشرب به فمكانة الرسول لا مثيل لها عند المسلمين قديما وحديثا وإلى أن ينفخ في الصور وهو الذي وصفه القرآن ورسم له الصورة المحببة في النفوس صورة فيها لين ورقه وفيها الخلق العظيم والنفس الوادعة المطمئنة نزل عليه روح من أمر الله يهدي إلى الصراط المستقيم ويخرج الناس من الظلمات إلى النور[19]، وهو الذي قال فيه الله ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[سورة القلم: ١ -٤]، ويقول ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[سورة التوبة: ١٢٨]، ويقول تعالى ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٩]، ويقول عنه تبارك وتعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [سورة الشورى: ٥٢ -٥٣]، وقوله تعالى ﴿ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[سورة الطلاق: ١٠-١١] نويدعوه سراجاً منيراً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [سورة الاحزاب: ٤٥ -٤٦]، ويصفه

(١٨) مسلم ج١، ص٨٣.

(١٩) من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد بدوي مكتبة نهضة مصر بالفجاله، ط٣، ص ٢٦٩.

الله بالرحمة قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، ويأمرهم بأستشارتهم وخفض الجناح لهم ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٩]، ويقول وأخفض جناحك للمؤمنين وقل أني أنا النذير المبين وقال تعالى ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

أما قوله تعالى ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [سورة الاحزاب: ٦]. فقد تفرد رسول الله ﷺ بمزايا أختص بها لا يشاركه بها أحد فأزواج النبي ﷺ هن أمهات المؤمنين بمعنى واحد فحسب هو أن تكريمهن وتعظيمهن واجب على المسلمين وحرام على المسلم أن يتزوج واحدة منهن بعد رسول الله ﷺ.

أما في بقية الأحكام الاخرى فليس لهن ما للامهات فكل رجال المسلمين مثلاً كانوا بالنسبة لهن أجانب، عليهن الاحتجاب منهم إلا من كان منهم ذا رحم محرم كذلك لم تكن بناتهن أخوات للمسلمين من الام فيحرم عليهم نكاحهن ولم يكن إخوانهن أو أخواتهن في حكم أخوال المسلمين وخالاتهم ولم يكن أحد من المسلمين يرثهن مثلما يرث أمه إلا من كان منهم قريباً لهن يناله نصيب من الإرث[٢٠]، وحري بنا أن نذكر في هذه المناسبة إن احترامهن وذكرهن بالحسنى واجب مقدس ولا يجوز المساس بهن أطلاقاً ومن تعرض لنساء النبي بسوء يخرج عن ملة الإسلام باتفاق العلماء فهن أمهات المؤمنين وأزواج النبي الكريم لهن كامل التكريم والذكر الحسن.

## حقوق ذوي الأرحام:

علاقة المسلمين بالنبي ﷺ علاقة ذات طبعة خاصة مستقلة برأسها عن سائر الصلات والعلائق أما علاقة المسلمين بعضهم ببعض فتقوم على أساس أن حقوق المرء تجاه أقربائه مقدمة على حقوقه تجاه الآخرين من بقية المسلمين فلا يصح أن يذر المرء والديه وأولاده وأخوته في عوز ويتصدق على الآخرين

(٢٠) تفسير سورة الاحزاب ص٣٦.

والزكاة كذلك يصرفها المسلم أولاً في مساعدة الفقراء من أهله ثم يعطيها من يلونهم من المستحقين الآخرين والميراث أيضا جعل لأقرب الأقربين فأن أراد المرء أن يبذل لغيرهم مالاً فله ذلك عن طريق الهبة أو الوقف أو الوصية بحيث لا ينال الآخرون كل شيء ويبقى الوارث الأصلي محروما.

كذلك أبطل الحكم الإلهي الوارد في هذه الآية ما كان يجري بين المهاجرين والأنصار حين أخى الرسول ﷺ بينهم بعد الهجرة إذ كان يرث بعضهم بعضا على أساس الأخوة وللمرء بعد ذلك بالطبع أن يساعد بما له أي أخ له في الله إذا أراد عن طريق الوصية أو الهدية[٢١]، وقد عني القرآن بالأرحام عناية فائقة حيث أحتوى آيات عديدة تلقى وتوجب التمسك بأواصر القربى والأرحام ومحاسنة الأقارب وتعاونهم فيما بينهم وفي هذا توطيد لكيان المجتمع الإسلامي الرائع الممتاز قال تعالى:

١- ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

٢- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[سورة البقرة: ١٨٠].

٣- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٥].

٤- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [سورة النساء: ١].

٥- ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

٧- ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [سورة الأسراء: ٢٦].

وهناك أحاديث نبوية شريفة تؤكد

(٢١) تفسير سورة الآحزاب/ ص٣٨.

على وجوب صلة الرحم وردت في كتب الصحيح.

فالقرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ يريدان وحريصان على أنعاش علاقتنا وإتيانها وإحيائها بتبادل الود والصلة والحب ابتغاء وجه الخير ورضا الله تبارك تعالى الذي هو هدف المؤمن في هذه الحياة.

نلخص مما مضى من حديث حول القرابة والأرحام أن هناك حقوقاً شرعية واجبة التطبيق بين الأرحام والأقارب ومن يضيعها فقد ضيع دينه وحشر يوم القيامة مع الظالمين بنص الحديث الشريف ((لا يدخل الجنة قاطع)).

## وحدة دعوة الأنبياء عليهم السلام

أعلن القرآن الكريم أن رسالة محمد ﷺ ليست بدعا من الرسالات وأنه لم يبدأ نهجاً جديدا لم تعرفه الحياة من قبل إنما جاء محمد ﷺ لكي يستأنف الرحلة المباركة التي بدأتها كتب سابقة وأنبياء سابقون أن القرآن وأن كان ينسج خيوط دعوة جديدة إلا أنه ينبعث من ضمير الرشد الأول، وإنما يحمل راية إبراهيم وموسى وعيسى ويبلغ بلسان عربي مبين نفس الحجة البالغة التي صدحت بها من قبل التوراة والإنجيل وهكذا خاطب القرآن الرسول فقال: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[سورة فصلت: ٤٣]، في الحقيقة أن هناك دينا واحداً وليس ثمة أديان شتى كما يتصور بعض الناس فالقرآن الكريم يؤكد وحدة دعوة الأنبياء فيقول في بيان واضح ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[سورة الشورى: ١٣].

كما ويعلن القرآن الكريم احترامه وتوقيره للكتابين الكبيرين اللذين حملا الرسالة من قبله التوراة والإنجيل ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[سورة المائدة: ٤٦].

فالقرآن الكريم يعترف بوحدة الدين وهو حريص على أن يقرر وحدة الدعوة عند الأنبياء جميعا لأن هدفهم واحد هو إرجاع الناس إلى الله وعبادته وحده وأتباع كتبه ورسله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[سورة البقرة: ٤]، لا يتم أيمان مسلم حتى يؤمن بجميع

الرسالات السابقة والأنبياء السابقين ولا يفرق بين أحد منهم. أن الإسلام ليس عنوانا لطائفة معينة من الناس بل كل دين أسلام وإبراهيم أبو الأنبياء جميعا كان دينه الإسلام وكل ذراريه مسلمون، فالذين كتابهم التوراة والذين كتابهم الإنجيل لا بد أذن في تقدير القرآن أن يكونوا مسلمين؛ لأن إبراهيم الذي جاء موسى وعيسى ومحمد من عقبه وساروا على نهجه كان أول المسلمين ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧]، فالإسلام لا ينشيء ديناً جديدا أنما يبعث من جديد دين إبراهيم، فمحمدﷺ يرفع نفس الراية كما رفعها إبراهيم وموسى وعيسى وهي راية التوحيد، ومفهوم كلمة أسلام تتسع لكل مؤمن في كل زمان أن الدين الذي جاء به إبراهيم وكموسى وعيسى ومحمد هو دين واحد.

ولكن إذا كانت الدعوة واحداً والدين واحد إذن لماذا كان الأنبياء العديدون والرسل الكثيرون؟.

أن القرآن يعلمنا أن الناس تختلف ألسنتهم ومشاكلهم واستعدادهم من أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل وذلك يقتضي أن يكون لهم هداة يخرجون من نفس البيئة ونفس الصفوف وهؤلاء الهداة والمرسلون مهما تكاثروا فأنهم لا يختلفون في دعوتهم ويتناقضون فهم جميعاً دعوا إلى هذه الدعوة المباركة ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ٣٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥١]، أذن الأيمان بالله واليوم الآخر وعبادة الله وحدة والعمل الصالح والخير والحق هي دعائم الدين الأساسية ومرتكزات دعوة الأنبياء جميعاً وما من نبي ولا رسول إلا كانت دعوته مشتملة على هذه المبادئ الأصيلة الثابتة في كل دين ودعوة إلهية والقرآن الكريم فصل هذه الوحدة الدينية بشمولية واضحة... (أما المضمون الحي لكل كتاب وكل دعوة فواحد لا يتغير هو الأيمان بالله والعمل الصالح[٢٢].

(٢٢) كما تحدث القرآن، خالد محمد خالد، ط٣١، ١٩٧٠، القاهرة.